

طبيبة تروي شهادتها عن مجزرة رابعة: يجب محاسبة المسؤولين عن القتل والقمع الممنهج



السبت 15 أغسطس 2026 07:20 م

كشفت الطبيبة فاطمة يحيى عن تفاصيل شهادتها على مجزرة رابعة في 14 أغسطس 2013، والتي تعد أسوأ مجزرة جماعية في يوم واحد في تاريخ مصر الحديث، حيث قتل ما لا يقل عن 817 شخصًا

وقالت في شهادتها عبر المنصة الرسمية لـ "منظمة الديمقراطية الآن للعالم العربي (DAWN)": "بصفتي جراحة أعصاب، تطوعت في مستشفى رابعة الميداني ذلك اليوم، الواقع قبالة ميدان رابعة مباشرة كنتُ أتطوع هناك منذ مجزرة الحرس الجمهوري في يوليو من ذلك العام، بدافع مني لدعم من يمارسون حقوقهم الأساسية نصرًا للديمقراطية المصرية وضد الوضع القمعي الراهن".

تحذيرات من أمر خطير

وأضافت: "في الليلة التي سبقت الهجوم، تلقيتُ تحذيراتٍ عديدة من الأصدقاء والزلاء تُشير إلى احتمال وقوع أمرٍ خطير في الاعتصام كان أحد مصادري يعمل في مستشفى عسكري، ولديه معلوماتٌ تُثير قلقه البالغ رغم هذه التحذيرات، قررتُ البقاء، مُؤمناً بأن مصريي مُرتبطين بمن حولي، ولم أستطع أن أجبر نفسي على تركهم".

وتابعت: "بدا الجو هادئاً في ذلك اليوم بدأت أظن أن التحذيرات كانت تهدف إلى تخويف الناس ودفعهم لمغادرة الساحة منهكاً من الاستعداد لحدث سابق، حاولت النوم في النهاية".

وأردفت: بعد حوالي ساعة، استيقظت على مكالمات طوارئ في البداية، ظننت أن أنباء الهجوم مجرد شائعات وبينما كنت أتصفح مواقع التواصل الاجتماعي من أعلى العيادة المجاورة لمستشفانا الميداني، مركز رابعة العدوية الطبي، رأيت دخاناً قرب مركز طيبة التجاري شرقاً، وبدأت أسمع دويّ إطلاق نار".

واستطردت: "عدتُ فوراً إلى المستشفى الميداني في الخارج ورعنا أقنعة الغاز على فريقنا وبدأنا بتنفيذ خطة الطوارئ، التي قسّمت الفريق الطبي بحيث تُعالج الحالات الأقل خطورة، كالإصابات بطلقات الخرطوش والتعرض للغاز، بشكل منفصل عن المرضى الذين يعانون من إصابات خطيرة بالذخيرة الحية لكن هذه الاستعدادات لم تُهيئنا لما حدث لاحقاً".

وأوضحت الطبيبة: "كان أول الواصلين قد فارقوا الحياة كان العديد منهم يعانون من إصابات بالغة حالت دون إنقاذهم حاولنا تقديم الإسعافات الأولية مع وصول المزيد من الجرحى، بما في ذلك التثبيت وتثبيت حالتهم، على أمل نقلهم لاحقاً إلى العناية المركزة إما في المركز الطبي أو في مستشفى أكثر تطوراً".

واستدركت: "لكن سرعان ما أصبح نقل المرضى مستحيلًا لم تتمكن سيارات الإسعاف من الوصول إلى المنطقة أو مغادرتها بأمان بسبب إغلاق الجيش وقوات الأمن للمداخل، مما جعل الوصول إلى المستشفيات القريبة متعذراً وسرعان ما امتلأ المستشفى الميداني بالنازحين من الساحة، مما اضطرنا إلى إجراء فرز الحالات في ظل ظروف بالغة الصعوبة كان علينا أن نقرر أي المرضى قد يستفيدون من مواردنا المحدودة، وأيهم من غير المرجح أن ينجو".

وتتذكر الطبيبة: "كانت أرضية المستشفى الميداني مغطاة بالدماء لقد عالجت مرضى مصابين بإصابات خطيرة طوال مسيرتي الطبية، لكنني لم أشهد قط إصابات بهذا الحجم أو بهذه الخطورة".

وأشارت إلى أنه "مع استمرار تدهور الوضع بسرعة، وصل المزيد من الجرحى إلى علمت أن قوات الأمن والجيش المصريين كانوا يطلقون النار على المتظاهرين ويعتقلون المتطوعين الطبيين كلما اقتربوا من المجمع الطبي، تاركين الجرحى دون رعاية طبية".

أصعب حالة

وفقًا لرواية الطبيبة، "لا تزال إحدى الحالات مؤلمة لي بشكل خاص" وصل مريض فاقد للوعي مصابًا بإصابة بالغة في الرأس، وكانت حدقتا عينيه لا تزالان متفاعلتين في الظروف العادية، كنت سأقوم بتبنيه وترتيب نقله بشكل عاجل إلى العناية المركزة ولكن نظرًا لاستحالة النقل، اعتقدت أن استخدام مواردنا الشحيحة لن يغير من النتيجة لم تتمكن من تقديم العلاج النهائي الذي يحتاجه توشل إلي صديقه لإنقاذه وبصفتي طبيبة، كان من الصعب علي معرفة ما يمكنني فعله عادةً لمثل هذا المريض، مع إدراكي أن الظروف حالت دون ذلك".

وقالت إنه "مع ازدياد عدد الضحايا، شعرت أنني توقفت عن ممارسة مهنة الطب بدلاً من ذلك، أصبحت متعهد دفن موتى، أشهد الموت مرارًا وتكرارًا في إحدى المرات، وصل رجل مصاب بجروح بالغة يحمل رأس ودماع صديقه أرعبني هذا المشهد، ولا يزال من أكثر الصور المؤلمة التي رأيتها في حياتي".

وأضافت: "اكتظ المستشفى بالجرحى والقتلى على حدّ سواء اضطررنا إلى إبعاد الجثث لإفساح المجال للمرضى الذين لا يزال من الممكن إنقاذهم ولأنّ التدخل الجراحي العصبي كان مستحيلًا، بدأت بتقديم الإسعافات الأولية، بغض النظر عن التخصص في تلك اللحظة، كنا نحاول ببساطة إنقاذ كل من نستطيع".

وتواصل الطبيب شهادتها على أحداث المجزرة: "تفاقم العنف ليؤثر بشكل متزايد على المستشفى الميداني والمركز الطبي أطلق الجيش المصري وقوات الأمن الذخيرة الحية وقنابل الغاز المسيل للدموع باتجاهنا، مما أجبرنا على التنقل بين المركز الطبي والمستشفى الميداني علمنا لاحقًا أنه يمكن نقل المصابين إلى المركز الطبي القريب، لكن الوصول إليه كان محفوفًا بالمخاطر بسبب إطلاق النار وقنابل الغاز المسيل للدموع التي كانت تُطلق على الأشخاص الذين يحاولون الدخول".

وقالت إنه "سرعان ما فاق عدد المرضى طاقة المستشفى الميداني، ثم المركز الطبي بأكمله امتلأت غرف العمليات والأسيجة والطوابق والممرات بالمرضى كنا نفتقر إلى الكوادر الطبية، والتخدير، والأدوية، والمعدات، والمساحة اللازمة لتقديم العلاج توسل المرضى المصابون بجروح خطيرة طلبًا لتخفيف آلامهم، وأعربوا عن خوفهم من الموت واصلنا العمل رغم النقص الحاد في الموارد".

وبحسب شهادتها، "استمرت الإصابات بالوصول بوتيرة أسرع من قدرتنا على علاجها الآن، في المركز الطبي، رأيت أعدادًا كبيرة من الجرحى في الخارج لا يستطيعون الدخول في إحدى المرات، حاولت توفير الإمدادات الأساسية لكل من يحتاجها".

جندي لطيب: إما حياتك أو حياته

في نهاية المطاف، وصفت الطبيبة المستشفى نفسه بأنه أصبح تحت تهديد مباشر، "دخلت الانفجارات والغاز المسيل للدموع إلى المبنى، وأدركنا أن الجيش المصري وقوات الأمن يقتحمون المنشأة اضطررنا في نهاية المطاف إلى اللجوء إلى الجزء الخلفي من المركز الطبي وطواقبه العليا مع أي مرضى استطعنا إحضارهم معنا بمجرد دخولنا، أمر الجنود الطاقم الطبي بالمغادرة، على الرغم من احتجاجاتنا بأننا لا نستطيع التخلي عن مرضانا المصابين في إحدى المرات، رأيت جنديًا يوجه مسدسه إلى أحد زملائي بينما كان يكافح لإنقاذ مريض، قائلاً له: "إما حياتك أو حياته".

وتابعت الطبيبة: "رغم الفوضى، أردتُ البقاء مع الجرحى في النهاية، أمر الجنود الجميع بالمغادرة رافعين أيديهم، واستمروا في تهديد الأطباء الذين طالبوا بالبقاء مع مرضاهم استسلمت العائلات، بمن فيهم النساء والأطفال وبقي بعض الأقارب بجانب أحبائهم الجرحى، يواسونهم ويساعدونهم على ترديد الشهادة".

وأوضحت أنه "بعد ساعات من الفوضى، اضطررتُ للمغادرة، مثقلة بشعورٍ طاغٍ بالذنب لأنني شعرتُ أنني تخليتُ عن مرضاي علمتُ لاحقًا أن العديد من الجرحى الذين بقوا في الداخل لم يُنقلوا إلى المستشفيات، بل أُحرقَ المستشفى الميداني الذي لجأنا إليه".

وفقًا لقولها، "لم ينتهِ ما شهدته بمغادرتي رابعة ما زلت أعاني من الكوابيس والأرق تطاردني صرخات الجرحى والمحتضرين، وخاصة صرخات المرضى الذين لم أتمكن من إنقاذهم لم يكن العلاج الطبي مستحيلًا بالضرورة، بل إن الظروف حالت دون تقديم العلاج المناسب".

جثث متفحمة في مسجد الإيمان

وانتهت الطبيبة في شهادتها إلى القول: "بصفتي طبيبة وشاهد عيان، لم يكن ما حدث في رابعة مجرد صراع سياسي أو تفريق اعتصام عادي لقد شهدت أعدادًا هائلة من الجرحى والقتلى، وإصابات بالغة، وعجزًا عن إجلاء المرضى، وهجمات استهدفت المرافق الطبية والعاملين فيها، وتدميرًا للرعاية الطبية وفي اليوم التالي، رأيت جثثًا متفحمة في مسجد الإيمان وتبقى الدولة المصرية مسؤولة".

وشددت على أنه "لا يكفي مجرد تذكر رابعة يجب ألا يصبح مرور الوقت بديلاً عن المساءلة"، قائلة: "يجب محاسبة المسؤولين عن عمليات القتل والقمع الممنهج الذي أعقبها ولا تقتصر هذه المسؤولية على المسؤولين المصريين وقوات الأمن الذين ارتكبوا المجزرة، بل تشمل أيضًا أولئك الذين مكّنوا النظام أو سلّوه أو مؤلّوه أو حمّوه من أي عواقب وخيمة".

ومضت قائلة: "رغم شعوري بالعجز والذنب والإرهاق والصدمة، ما زلت أعتد على الله أدعو الله أن يرحم من قُتلوا، وأن يشفي من نجا، وأن يمنح القوة لعائلاتهم لا أتذكر الضحايا كأرقام، بل كبشر انتزعت منهم حياتهم وعائلاتهم ومستقبلهم".

